حوار مع عبد السلام بنعبد العالي: الصحافة كأداة لتطوير اللغة

إعداد: سحر وفقا

ساهم المفكر المغربي، عبد السلام بنعبد العالي في ترجمة منجز فكري كبير من اللغة الفرنسية إلى العربية. ضمن هذا السياق، يتحدث لمجلة الصحافة عن دور الصحافة في «خلق لغة جديدة بعيدة عن روح الأكاديميا وقريبة من ترويج روح الأفكار».

> تـــلا نشـــأة أولـــى الصحـــف المطبوعــة خــلال القــرن الســابع عشــر فـــی أوروبــا موجـــة مـــن الانتقادات وتضييــق علـــى الـــرأي والفكـــر وكــــذا رقابــــة صارمـــة خصوصــا مــن لـــدن المفكريــن والفلاســفة والأدبــاء. ففى رسائله الفارسية (1721)، أبخـس مونتسكيو، مثـلا، عمـل الصحفييــن قائـــلا: "إنهــم عديمــو الفائــــدة للدولــــة، فأحاديثهـــم منـــذ خمســين عامـــا، لا يختلــف أثرها عما لـو سـكتوا هـذه المـدة الطويلــة. ومــع ذلــك يعتقــدون أنفسهم عظماء يضطلعون بأمور

آثــار جليلـــة". كذلــك كان موقــف جيـل دولـوز سـلبيا تجـاه عمـل الصحفييان، حياث هاجمهم فاي بـــاب "الثـــاء" علـــى وزن "ثقافـــة" فى البرنامج الحواري "أبجديات جيــل دولــوز" (1)، معتبــرا أن کل صحفہی یعطہی لنفسہ الحــق فــى أن يكــون كاتبــا، وأن مؤلفاتهــم لا ترقـــى أن تكـــون مؤلفات بمعنى الكلمـــة بـــل مجرد مقالات مطولـة لا علاقــة لهــا بــالأدب أو بالفلســفة. لـــم يكــن لدولــوز أن يتخيــل الخدمــة التــى قدمهــا لــه هــذا البرنامــج بعـد وفاتـه، فكمـا أوضـح المفكـر والمترجـــم المغربـــى د. عبـــد

السلام بنعبد العالى (2) فــى حـوار خـص بـه مجلـة الصحافـة، فــإن "كثيــرا ممــن يتحدثــون عــن دولــوز اليــوم لا يعرفونــه إلا عــن طريــق هــذا الحــوار. فليــس مــن الســهل إذاً أن ننكــر الــدور الــذي تؤديــه الصحافــة فـــى ترويـــج الأفكار." وأردف فــى ذات الســياق: " كان رولان بــارت قـــد أشــار إلـــى ما أسماه القراءة عن طريق النقل، أو المعرفــة عــن طريــق الســمع، منبها أن كثيريـن منـا يتحدثـون عـن كتـب لـم يقرؤوهـا، إلا أنهـم يعرفونها من شدة ما سمعوا عنها." لذلك، ومن منطلق وعيهم بهذا الحور المحوري للكتــاب". لكــن، لا ينبغــى - فــى

تقديــر عبــد الســـلام بنعبــد

العالـــي - أن نبخـــس مــن أهميـــة ذلـــك، فنظـــرا للســـرعة التــــى

تنتشر بها الصحيفة، فإنها

تــروج المفاهيــم المســتجدة، بــل

ولبعـض المواقـف والآراء، قبــل

أن تقــرأ علــى صفحــات الكتــب،

بالإضافة إلى أن أغلب المفكرين

المعاصريان يصبحون مان حيان

لآخر، صحفييان يروّجون لكتبهم

على الشاشكات الصغيرة،

فيعملــون علــى أن "تُقــرأ" قبــل

القراءة. ويكفى أن نذكر أسماء

بعـض الفلاسـفة الفرنسـيين

الأحياء الذيان يطلون علينا

صباح مساء ليحدثونا عـن آخـر

إنتــاج لهــم، ليــس فــى شاشــة

بعينها، فهم يجوبون الشاشات،

ويطلبون علينا منها واحبدة تلبو

الأخرى".

للصحافـــة، نجـــد أن العديـــد مـــن الفلاســفة مارســـوا الصحافـــة، وقامـــوا بتوظيــف معرفتهـــم ومناهجهـــم التحليليــــة لتقديـــم قــراءات فــي القضايــا الراهنــة. كما أن التأثيـــر البالــغ للصحافـــة فـــي أن التأثيــر البالــغ للصحافـــة فـــي محيطهــا الاجتماعــي والسياســي، محيطهــا الفلاســفة مـــن أمثـــال جعـــل الفلاســفة مـــن أمثـــال غاســـتون باشـــلار يعتمدونهــا منهجــا للترويـــج لأطروحاتهـــم.

"

كثيــر ممــن يتحدثــون عــن دولوز اليــوم لا يعرفونــه إلا عــن طريــق حـــوار تلفزيونـــي. فليـــس مــن الســهل إذا أن ننكــر الــدور الــذي تؤديـــه الصحافـــة فـــي ترويـــج الأفــكار.

الـذي عرفـه القـرن التاسـع عشـر، أصبحت الصحف من ضروريات الحياة. ولكيالا نحصر أنفسانا فــى الــدور الكلاســيكى للصحافــة الــذى يهــم نقــل الأحــداث السياسية والاجتماعية، يحدثنا د. عبد السلام بنعبد العالى عـن الــدور "الخطيــر" الــذي أدّتــه الملحقات الثقافية للصحف الكبرى فــى حياتنــا المعاصــرة، حيث قال إنه باستطاعتها: "خلــق لغــة بعيــدة شــيئا مــا عـن الـروح الأكاديميــة، وبالتالــي، ملاحقــة مــا يقتضيــه التجديــد. وقيد عيرف العاليم العربيي فتيرات كان التجديد الثقافى ملقى أساسيا عليى الصحيف وملاحقها الثقافيـــة، خصوصـــا وأن نشــر الكتــاب العربـــى وتوزيعـــه كانــا -وربمـا لا زالا - يلاقيـان كثيــرا مــن الصعوبات. وربما كان ذلك هـو

37

عبد السلام بنعبد العالي، المفكر والمترجم المغربي (إنترنت).



بعــد هــذا المخــاض الصعــب، وتحطيــم القيــود التـــي كانــت تقــف فـــي طريـــق ازدهــار الصحافــة، ومــع التطــور الاقتصادي

السبب في أننا أصبحنا نتابع كتبا بأكملها وهي تنشر في حلقات على أعمدة الصحافة قبل أن تتخذ الصورة المعهودة

ومـع ذلـك، اسـتنكر علمـاء اللسـانيات والمتخصصــون فــي الشـأن اللغـوي دومـا الخطـر الـذي يهـدد اللغـة بسـبب العجلـة التي تتطلبهـا الكتابـة الصحفيــة، بيـد أن لغـة الملاحـق الثقافيــة كانـت دومـا تســمو باللغــة وتقدمهـا فــي أبهـــى حللهـا. فالكلمــة، التـــي هـــي أداة لغــة الصحافــة التـــي هـــي أداة لغــة الصحافــة لنقــل الخبــر ولكنهـا أســاس ليقــل الخبــر ولكنهـا أســاس

ومــن ثمـــة، وحتـــى إذا ســلمنا أن "لغــة الجرائــد" هــي التــي تشــيع الأخطــاء والركاكــة التــي أصبحــت "مقبولــة" بســبب كثــرة تداولهــا، فإنــه لا يمكــن إنــكار الــدور الريــادي للصحافـــة فيمــا يخـــص: "تطــوّر اللغــة، ربما بشــكل أســرع ممــا يتم فـــى الوظائــف والســياقات الأخــرى



التــى تســتخدم فيهــا اللغــة. بــل إننــا يمكــن أن نذهــب إلـــى القــول بــأن الصحافــة "تُحــدّث" اللغــة، أو علـــى الأقـــل تســـاهم فـــى ذلك التحديث. وهــذا أيضــا مــا تفعلــه الترجمــة عندمــا تفتــح اللغــة علـــى آفــاق مغايــرة". وإذ يربط الأستاذ بنعبد العالى فى معرض حديثه عن اللغة الصحفيــة، إيجابيــات اللغــة الصحفيــة بإيجابيــات الترجمــة، فإنه مع تسارع وتيرة الأحداث فى العالم والمحاولات الحثيثة للإعلام وللمؤسسات الإعلاميـــة

لمواكبتها، أصبح الخبر الصحفي وترجمته وجهين لعملة واحدة، إذ إن الترجمــة غــدت صلــب العمل الصحفـــى وركيـــزة مـــن ركائـــزه الأســـاس. وهنـــا يقربنـــا الأســـتاذ بنعبــد العالــى مــن هــذا الواقــع المهنى قائلًا إن الصحفى: "عندما يجد نفسه مجبرا لكـى ينقــل المعلومـــة، أن يترجمهــا وينقلهـا إلـى لغتـه، فهـو يخضـع اللغــة لمحنتيــن وامتحانيــن، ويعمل على تحديثها بشكل مضاعف. خصوصا وأنه يكون مجبــرا - فـــى غالـــب الأحيـــان -

يمكــن أن نذهــب إلــى القــول بــأن الصحافــة تُحــدّث اللغــة، أو على الأقبل تساهم في ذلك التحديث. وهـذا أيضـا مـا تفعله الترجمــة عندمــا تفتــح اللغــة على آفاق مغايرة.

علـــى أن يســـتقى المعلومـــة مــن مصادر تتبايـن مواقعهـا ولغاتهـا. لــذا فهــو مــا يفتــأ يترجــم. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنَـه لا بــد وأن يواكب الأحداث في طراوتها



وجدتها، فلا مفرله من أن يعمل على ملاحقة الجديد، لا يعمل على ملاحقة الجديد، لا مستجدات الأحداث فحسب، بل جديد اللغة، وجديد المخترعات، وبالتالي جديد الألفاظ المعبرة. للماس هنا الحور التحديثي المائل الملقى على عاتق الصحفي، قصدا منه أو من الصحفي، قصد: إلا أن طبيعة العمل الصحفي وما تقتضيه من سرعة في الإنجاز لا تعفي الصحفيين وما تقتضيه من حن كم والمترجمين الصحفيين من كم الانتقادات التي توجه إليهم

"الســرعة" فـــي القيـــام بالمهـــام المنوطــة بهــم، ممــا يفضــي إلــى اجتــزاء قضايــا كبــرى مــن ســياقاتها السياســية والثقافيـــة.

عــرف العالــم العربــي فتــرات كان التجديــد الثقافــي ملقــى أساسـا علـى الصحـف وملاحقها الثقافيـــة، خصوصــا وأن نشــر الكتــاب العربــي وتوزيعــه كانــا -وربمـا لا زالا - يلاقيــان كثيــرا مــن الصعوبــات.

عـن هـذا الإشـكال يبيـن لنـا عبـد السـلام وجهــة نظــره: "نتصــور، والحالــة هذه، كــمّ الترجمــات التي تُنجَــز فــي كواليــس قاعــات تحرير الصحــف والإذاعــات والتلفزيونــات، ومــا ينجــم عـــن ذلــك مــن "تطويـــع" للغـــة المســـتقبِلة، سياســيا واجتماعيــا وأدبيــا وفكريــا. كمــا نتفهــم - والحالــة هــذه - التحديــات التــي يواجههــا الصحفــي وهــو ينقــل المعلومــة الــص أخــرى.



فهناك أولا التحــدي الزمنـــي، فالمترجــم الصحفــى لا يأخــذ الوقــت الكافــى لقــراءة النــص وترجمتـه ثـم تنقيحـه علـی غـرار ما يفعل مترجم الكتاب الأدبى. الصحفى لا يرحمه الزمن، وهو لا يتأمل الأحداث وإنما يلاحقها. إنه متطلع دائما إلى ما سيأتي، وهـو مضطـر لأن يترجـم ويحـرر قبـل أن يداهمـه موضـوع أو حـدث آخـر". إنــه – كمـا يقــول- ليــس "مؤرخا يحاول "تثبيت" ما يجرى، وإنما هو "عداء" يحاول الجرى وراء مـا يجـرى. فلا بــد لــه - والحالة هـذه - أن يكتفـي بالترجمـة التـي تقتـرب مـن المفهـوم مـن غيـر أن تكـون مطابقـة لـه. الصحفـي

يخـون الأحـداث بتجزيئهـا، ويخون المعلومــة بنقلهــا بلغــة مقاربــة، وكل ذلك حتى لا يخون نقل ما يقع." وفى ذات الصحد، شحد الأستاذ بنعبد العالى على الدور الطلائعي للصحافة الرياضية فى تجديد اللغة العربية، منهيا حديثه لمجلحة الصحافحة بقوله: "ما دمنا بصدد الحديث عـن الجـرى واللحـاق، لنذكـر الـدور الريادي الــذي لعبتــه الصحافــة الرياضيــة فـــى العالـــم العربـــى فى تعريب المصطلح الرياضي وتوحيده وترويجه، بـل تطويـره مجاراة لما يتطلبه تطور الرياضات وتغيــر القوانيــن المنظمــة لهــا."

∨ المراجع:

1) "أبجديــات جيــل دولــوز" هــو وثائقــي فرنســي مــن إنتــاج بييــر أندريـــه بوتانــغ، تــم تصويــره بيــن عامـــي 1988 و1988، ويتألــف مــن سلســـلة مقابـــلات بيـــن الفيلســـوف الفرنســـي وتلميذتـــه، الصحفيـــة كليــر بارنيـــه، التـــي أقنعتــه ببـــدء بثــه ســـنة 1995، بعــد أن قــد قــرر عـــدم الســماح ببثــه إلـــى حيــن وفاتــه.

2) ولــد الدكتــور عبــد الســلام بنعبــد العالــي ســنة 1945 فــي مدينــة ســلا المغربيــة، وهــو مفكــر وكاتــب ومترجــم وأســتاذ بكليــة الآداب فــي جامعــة محمــد الخامــس بالربــاط. تدرجــت مؤلفاتــه بيــن دراســات فلســفية وتنظيــر لمــا هــو أدبــي ومــن ثــم دراســات للترجمــة وحيثياتهــا وللشّــأن اللغــوي، فضــلا عــن الترجمــات التــي قدمهــا لعــدة أعمــال: الفلســفة السياســية عنــد الفارابــي (1981)، أســس الفكــر الفلســفي المعاصــر (1991)، حــوار مــع الفكــر الفرنســي (2008)، الكتابــة بيديــن (2009) فــي الترجمــة (2001)، الكتابــة بالقفــز والوثــب. ومــن ترجماتــه: الكتابــة والتناســخ لعبــد الفتــاح كيليطــو (1985)، أتكلــم جميــع اللغــات لعبــد الفتــاح كيليطــو (2013)، درس الســيميولوجيا لــرولان بــارت لعبــد الفتــاح كيليطــو (2013)، درس الســيميولوجيا لــرولان بــارت

